أمثال الغزالى رحمه الله والقرضاوى ومحمد عمارة وغيرهم حفظهم الله جميعا؟.

- أجابنى قائلا: الأمر ليس بهذه الصورة القائمة ولكن بلا شك هناك خلل فى ميدان الدعوة، وله أسبابه الثلاثة، فالتعليم الدينى يحتاج إلى مراجعة، والاستبداد السياسى عدو طبيعى لكل داعيه ناجح، ولا يمكن أن يسمح له بأى نشاط حقيقى، إلا إذا كان فى خدمة الحاكم ومآربه، كما أن الحكم المستبد قام بالتضييق على الهيئات الشعبية الإسلامية.. مثل جماعة الإخوان المسلمين التى تربينا فى ظلها، وأعطتنا فرصا حقيقية للانتشار بين الجماهير، وتعلم الدعوة بطريقة عملية ومباشرة من خلالها.. وإلى هذه الجماعة وغيرها من الهيئات المخلصة يرجع الفضل فى نجاح العديد من الأسماء اللامعة بميدان الدعوة فى عصرنا الحديث.

ثلاث خطوات ضرورية لوحدة إسلامية تقرب بين السنة والشيعة

واصل «الشعب» حوارها مع د. يوسف القرضاوى، كان الجزء الأول من الحوار قد تناول مؤتمر الدوحة حصار العراق وحادث الأقصر.

قلت لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى: لكم فتوى معروفة بتحريم التعامل والتطبيع مع الصهاينة فى ظل احتلالهم لأرضنا.. فما مرتكزات هذه الفتوى؟

قال الشيخ:

إن الموقف من إسرائيل موقف مبدئى كما يعبرون عنه فى عصرنا استراتيجيى ليس تكتيكيا، وليس سياسيا يمكن أن يتحرك أو يتغير بتغير الظروف، هو موقف مبدئى، وإسرائيل هى فى التكييف الشرعى جماعة وصلت لأرض المسلمين واحتلتها بغير حق ولم يكن لها فى هذه الأرض، أى شرعية وإنما أخذتها بالحديد والنار والعنف والدم وشردت أهلها فى آفاق الأرض، وهذا يعنى

أن إسرائيل أقامت كيانها كله على العدوان والاغتصاب، ومثل هذا لا يعطى الشرعية بتقادم الزمن ومرور الأعوام فإن مضى الزمن فى نظر الشرعية الإسلامية لا يجعل الحرام حلالا ولا الباطل حقا، ولا يسلب الباطل صفته والنهب هى صفقته الأولى، فعلى هذا الأساس رفضنا السلم مع إسرائيل بمعنى السلم الذى يعطيها الحق فيما اغتصبت ويجعل لها سلطانا شرعيا على ما نهبته من دار الإسلام وأرض المسلمين.

ويمكن لمصلحة يراها أولو الأمر من المسلمين أن يعقدوا هدنه مع إسرائيل ومع دول الاغتصاب دون أن يتضمن ذلك اعترافا بحقها وسلطانها الشرعى على ما أغتصبت من أرض.. من هنا نرى أن الواجب على أهل فلسطين على وجه أخص وعلى العرب بصفة خاصة وعلى المسلمين بصفة عامة أن يقاوموا هذا الأغتصاب والعدوان الصهيونى وإن كانت إسرائيل اليوم قوة بما تملك من ترسانة نووية وكيماوية وغيرها وبمساندة أمريكا المطلقة لها والمساندة الغربية إلى حد ما، فإن سنة الله ألا يبقى القوى قويا ولا يستمر الضعيف ضعيفا، فالأمر يتقلب ودوام الحال من المحال (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وعندنا البشائر النبوية بالانتصار على اليهود فى أن الحجر والشجر سيكونان معنا بإذن الله.

قلت: بعد هذه الفتوى الواضحة، ما رأيكم فى مؤتمرات الشرق أوسطية التى بدأت بمؤتمر الدار البيضاء وانتهت بمؤتمر الدوحة وخاصة أننا نعلم أنكم أعلنتم رفضكم لمؤتمر الدوحة على المنابر برغم إقامتكم فى الدوحة.

التقريب بين الشيعة والسنة

قلت للدكتور القرضاوى: قضية الوحدة بين المسلمين مازالت فى وضع متأخر فى سلم أولويات الأمة فى ظل التكتلات التى يشهدها العالم. فما موقع قضية الوحدة للمسلمين وكيف يتم التقريب بين جناحى الأمة المهيمن الشيعة و السنة؟

قال الشيخ: لا يوجد دين كالإسلام دعا إلى وحدة الأمة وتعاونها على البر والتقوى واعتصامها بحبل الله جميعا، وحذر من الاختلاف والفرقة و التنازع كما قال تعالى ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾ ثم

يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وفى الحديث: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». والأمة الإسلامية تملك كل ما يقوى وحدتها ويجعل منها أمة واحدة فلديها وحدة العقيدة ووحدة الشريعة ووحدة القبلة ووحدة الآداب ووحدة المصادر، ولديها وحدة للغاية ووحدة المنهج، ولهذا لا يجوز أن تصبح هذه الأمة أمما يجافى بعضها بعضا بل يعادى بعضها بعضا بل يقاتل بعضها بعضا أحيانا.

وكذلك مع تحذير الرسول لهم: لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

وإذا كان المسلمون دائما فى حاجة إلى الوجود أو على الأقل التضامن والتقارب فهم أحوج ما يكونون إلى ذلك فى عصرنا هذا الذى يتقارب فيه المختلفون بعضهم مع بعض برغم ما كان بينهم من خلافات وعداوات وحروب ودماء طوال قرون مضت. رأينا ذلك على المستوى الدينى ما بين الكاثوليك والبروتستانت من المسيحيين، بل رأيناه ما بين اليهود والمسيحيين على الرغم من القرون الطويلة التى كان العداء بينهما صريحا ومستعر الأوار فانتهوا إلى ما أصدره الفاتيكان من وثيقة تبرئة اليهودية من دم المسيح عليه السلام. رأينا ذلك على المستوى الأيديولوجى. رأينا المختلفين أيديولوجيا يتقاربون فيما بينهم فى ضوء سياسة التعايش السلمى القديم بين الولايات المتحدة وحلفائها من جانب والاتحاد السوفيتى وحلفائه من جانب آخر ثم سياسية الوفاق أخيرا إلى أن انتهى الاتحاد السوفيتى ولكن خلفه التقارب والاتفاق مع الصين الشيوعية.

رأينا هذا التقارب على المستوى الاقتصادى والسياسى بالنسبة لأوروبا التى استمر الصراع بين دولها فترات طويلة يذكرها التاريخ ولا ينساها ولا ينسى الحروب المدمرة التى قامت بين بعضها البعض وآخرها الحربان العالميتان الأولى والثانية وما خلفتاه من ضحايا بالملايين.

ومع هذا تتقارب أوروبا اقتصاديا وسياسيا لتنشىء كتلة كبرى تستطيع أن

تقف فى مواجهة الكتلة الأمريكية الكندية المكسيكية. إذن العالم كله تكلم بلغة التكتل ويتضامن بعضه إلى بعض إلا إيانا نحن العرب والمسلمين، فنحن للأسف كلما تكتل غيرنا تفرقنا نحن ويزداد يوما بعد يوم تمزقنا فى الصفوف واختلافنا فى الكلمة وهذا لا يصب إلا فى مصلحة أعدائنا الذين يريدون أن يلتهمونا واحدا بعد الآخر، فالإنسان لا يستطيع أن يلتهم الرغيف فى لقمة واحدة ولكنه يقطعه لقما ثم يأكله ويمضغه بعد ذلك.. لهذا أدعو العرب خاصة والمسلمين عامة إلى أن يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفهم ويقفوا فى جبهة واحدة ليحافظوا على كيانهم ووجودهم، فلا بقاء فى هذا العصر للكتل الصغيرة إنما البقاء للكتل الكبرى، ونحن - بحمد الله - أمة كبرى ٣٥٠ مليونا من العرب ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين يمكنهم أن يكونوا قوة مؤثرة فى هذا العالم خصوصا أنهم يملكون من المقومات والطاقات ما يؤهلهم لذلك، فهم أولا يملكون الطاقة البشرية العددية كما يقول الشاعر وإنما العزة للكافرين.

قال تعالى: ﴿ **إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ** ﴾ فبجانب هذه الكثرة العددية لدينا الخبرات والقوة المادية الواسعة، فالعرب والمسلمون يملكون القوة المادية والاقتصادية من السهول والوديان الخصبة الواسعة الصالحة للزراعة. ومن البحار والبحيرات والأنهار الحافلة بالثروات البحرية والسمكية، ومن المعادن النافعة والنفيسة التى يحتاج إليها العالم، وحسبنا أن معظم احتياطى النفط والغاز فى العالم فى بلادنا العربية والإسلامية، ونملك القوة الحضارية والعمق الحضارى والتاريخى والثقافى فلسنا أمة حديثة العهد أو وليدة الأمس القريب كالولايات المتحدة أو استراليا، نحن نعيش فى منبت الحضارات ومهبط الرسالات، فى أرضنا فى وطننا الإسلامى الأكبر نشأت الحضارات العربية الكبرى فى تاريخ العالم الفرعونية والفنيقية والآشورية والبابلية والكلدانية والفارسية والهندية.. كل هذه الحضارات نشأت فى أرض الإسلام الذى يعيش عليها المسلمون وهم ورثة هذه الحضارات، كما أن الأديان السماوية والرسالات السماوية

الكبرى نشأت فى ديارنا هذه، نشأت اليهودية ونزلت التوراة فى هذه الأرض. ونشأت المسيحية ونزل الأنجيل وبعث المسيح بن مريم فى هذه الأرض ونشأ الإسلام الذى يختم الله به الرسالات ونزل القرآن العظيم وبعث محمد بالرسالة الخالدة فى هذه الأرض فنحن وحدنا الذين نملك هذه الطاقة التاريخية الحضارية الهائلة، ونملك بعد ذلك كله - وفوق ذلك كله - القوة الروحية نملك الرسالة العظيمة التى بعث بها محمد رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين رسالة العدل والرحمة والوسطية والتوازن، التى وصلت الأرض بالسماء وربطت الدنيا بالآخرة ووازنت العقل والقلب ومزجت بين الروح والمادة ووفقت بين حرية الفرد ومصلحة المجتمع، هذه الرسالة هى سفينة الإنقاذ وطوق النجاة للعالم مما يعانيه من مادية مجحفة وإباحية مسرفة و شرود عن الصراط المستقيم، نحن المسلمين وحدنا الذين نملك الوثيقة الإلهية التى تجسد كلمات الله الأخيرة للبشرية والتى لم يعتريها أى تحريف أو تبديل، أنها القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذى تولى الله تعالى حفظه بنفسه ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ هذه الرسالة التى تعطى الإنسان الإيمان ولا تأخذ منه العلم، تعطيه الروح ولا تسلبه المادة.. تعطية القوة ولا تحرم عليه طيبات الدنيا، تربطة بالسماء ولكن لا تنزعه من الأرض، تأمره برعاية حق الرب ولا تحرمه من رعاية حظوظ النفس (إن لبدنك عليك حقا وإن لعينيك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا) وشعارها (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

نحن المسلمين نملك وحدنا هذه الطاقات كلها، والقوة البشرية والقوة المادية والقوة الحضارية والقوة الروحية، ولكن برغم هذه الطاقات والقوة التى لنا فنحن فى مجموعنا ضعفاء لأننا متفرقون والتفرق يضعف الكثرة، كما أن الاتحاد يقوى القلة، وكما يقال على مستوى الأفراد: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوى بجماعته، كذلك نقول على مستوى الأمة، والأمة قوية

بشعوبها إذا تضامنت وتلاحمت وأصبحت إرادتها واحدة ووجهتها واحدة وقرارها واحد، حينئذ تستطيع أن تؤثر إيجابيا فيمن حولها وما حولها تستطيع أن تشد أزر الصديق وترد كيد العدو ومن هنا أدعو أمة الإسلام إلى أن يتقاربوا ويتضامنوا وينسوا كل خلاف بينهم سعيا إلى الوحدة التى كانت قدر هذه الأمة وهدفها المنشود، ولهذا حضرت ندوة التقريب بين المذاهب الإسلامية التى دعت إليها المنظمة الإسلامية «ايسيسكو» للثقافة والعلوم بمدينة الرباط صيف ١٩٩٦ وقدمت ورقة فى ذلك وتحدثت بصراحة مع الإخوة حجج الإسلام الذين جاءوا يمثلون المذهب الشيعى، وقلت إذا أردنا أن نقيم أمة إسلامية ووحدة إسلامية تقرب بين المذاهب الإسلامية تقريبا حقيقيا وليس مجرد كلام يقال أو شعار يرفع لابد أن نراعى أشياء مهمة هى:

أولا: أن نبتعد عن القضايا التى تثير الفرقة ولم يعد لها مبرر مثل سب الصحابة رضى الله عنهم، فلا معنى أن يشغل إخواننا الشيعة بذلك وقد أفضى الجميع إلى ربهم وانتهوا إلى ما قدموا، وقد قال عمر بن عبد العزيز عندما سئل عن الدماء التى سالت بين الصحابة فأجاب إجابة حكيمة وقال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا.

وقال تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ ولا يمكن أن نتقارب دون ما يسب أحدنا الآخر أو رجاله أو مذهبه.

ثانيا: لايجوز لأى من أهل السنة أو الشيعة أن يعمل على نشر مذهبه فى البلاد الخالصة للمذهب الآخر ولا يجوز للسنى أن يذهب لنشر المذهب السنى فى طهران أو قم، كما لا يجوز للشيعى أن ينشر المذهب الشيعى فى مصر أو الجزائر الخالصة للسنة، فما قيمة أن يزداد مائة أو مائتين للشيعة أو للسنة ولكنهم يثيرون الفرقة والخلاف، يجب أن نتفق على ذلك جيداً.

ثالثا: كذلك يجب أن يحترم كل منا حقوق الأقلية التى تعيش فى رحابه

وظله فإذا كانت هناك أقلية شيعية يجب أن نرعى حقوقها وأن يتمكنوا من أداء صلواتهم وعبادتهم، وإذا هناك أهل سنة فى بلاد الشيعة وكذلك لو هناك شيعة عند أهل السنة – وهذا واقع فعلا – فهؤلاء يجب أن يعطوا حقوقهم الدينية والسياسية، ومن الناحية السياسية يجب أن يمثل أهل السنة أو الشيعة تمثيلا يكافىء عددهم فى مجلس الوزراء وفى البرلمان مثلما يحدث فى مصر، ففى مصر أقلية مسيحية يمثلون فى مجلس الشعب والوزارات.

يجب أن نسعى وأن نرعى هذه الضوابط ونقرها على المستوى العلمى والنظرى أمام القوى التى تريد أن تبتلعنا ولاتريد أن يكون لنا موضع، لو نجحنا فى هذا بإذن الله فإن الطريق إلى التقارب سيكون سهلا، لأن ما يجمع أكثر مما يفرق بكثير والوحدة الآن هى ألزم ما تكون لأننا فى معركة، وفى المعركة يجب أن ننسى كل خلاف.

نحن فى معركة دينية وعسكرية واقتصادية وسياسية وعلى كل صعيد مع الأعداء وهذا يتطلب أن نضم الصفوف جميعاً ولا يجوز أن نقول شيعة وسنة والغرب يضرب السودان السنى ويهددون إيران الشيعية فهم يريدون ضرب الشيعة، والسنة جميعاً.

وهذا هو الواجب الحتمى على أهل الدين وأهل الفكر وأهل السياسة فى هذه الآونة الخطيرة فى حياة أمتنا، أن يسعوا للتوحيد وللتقريب وينبغى أن يكون شعار الجميع القاعدة الذهبية التى وضعها رشيد رضا وتبناها الإمام حسن البنا «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بضا فيما اختلفنا فيه» وأعتقد أن ما نتفق عليه ليس بالهين أو القليل ويتطلب منا جهودا ضخمة، فلنتعاون فى هذا الجانب والله يوفق الجميع ويهدينا سواء السبيل.

* * *

حوار مع الدكتور يوسف القرضاوى [1]

أجراه: رئيس التحرير

الأستاذ/ محمد باقر الحكيم

كنت قد عرفت الشيخ يوسف القرضاوى من كتاباته الكثيرة، ومحاضراته المسموعة والمرئية، وعرفت فيه رجلا يعيش الهمّ الإسلامى بأوسع معانيه. يفهم كل ما يدور فى الساحة الفكرية والاجتماعية ويعالجه على أساس من القرآن والسنة، وبلغة العصر، كما يتناول من القضايا ما يحتاجه العصر، وخاصة ما تحتاجه فئة الشباب.

حين زار الجمهورية الإسلامية بدعوة من المجمع العالمى للتقريب كان لا بدّ أن أتشرف بزيارته، التقيته فى محل إقامته، وما إن وقعت عينى عليه حتى تجسّم أمامى نصف قرن من تاريخ الدعوة والصحوة والعودة، وما إن جلست إليه وفتحت معه أبواب الحديث حتى رأيت فى الرجل روح الشباب وتجربة الشيوخ، وعلم الأزهر، وتاريخ حسن البنا وحسن الهضيبى وسيد قطب ومحمد الغزالى. إنه تاريخ حىّ للصحوة الإسلامية المعاصرة، وصوت معبّر عن إرادة هذه الأمة فى حياة إسلامية عزيزة كريمة، ورؤية مفعمة بالأمل فى مستقبل الإسلام على ساحة المعترك الحضارى القائم.

كان من الصعب علىّ أن أطلب منه تسجيل مقابلة. ولذلك بدأت حديثى معه عن واقع التجزئة فى عالمنا الإسلامى، فطفق يتحدث عن هذه الحقيقة المرّة، وما عاناه هو فى حياته الدعوية من الحدود والسدود القائمة بين بلدان المسلمين.

---

(١) حوار أجرته مجلة (رسالة التقريب) التى تصدر من (طهران).

وحينما بدأ الحديث عن همومه فى التقريب وفى توحيد المسلمين، طلبت منه أن أسجل حديثه فرحّب، ثم تواصلت الأسئلة، فكانت هذه المقابلة.

* بودّى فضيلة الشيخ أن أسجّل حديثكم بشأن هموم «التقريب» وهموم «الوحدة».

- مرحبا بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهئ لنا من أمرنا رشدا. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

أما بعد فيسرنى فى بداية هذا القاء أن أحيى الأخوة فى الجمهورية الإسلامية فى إيران الشقيقة وأحيى على الأخص المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ورسالته التى نعتز بها فى التقريب بين أبناء الأمة الواحدة.

وأود أن أقول: إن توحيد أبناء الأمة الإسلامية فى كتلة واحدة تقف أمام الجبهات المعادية والقوى المتربصة بالأمة همٌّ من الهموم الكبرى التى أعيش لها وأموت عليها إن شاء الله.

فريضة وضرورة:

نشأتُ فى جماعة إسلامية ترى أن وحدة المسلمين فريضة وضرورة. فريضة يوجبها الدين وضرورة يحتمها الواقع. كان الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه ممن ينادى بوحدة أمة الإسلام، فى مشارق الأرض ومغاربها. ويقول: إن القرآن عبّر عن الوحدة بالإيمان وعن التفرق بالكفر، حينما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٠٠].

أسباب نزول الآية وسياقها يدل على أن معناها: يرودكم من بعد وحدتكم متفرقين، لأن اليهودى الذى أراد أن يفرق بين الأوس والخزرج حتى أن بعضهم نادى: السلاح السلاح .. إلى آخره. هو لم يفعل شيئا، إلا أنه أراد أن يفرّق الأمة

بعد وحدتها .. قال: يردوكم بعد إيمانكم كافرين .. وقال ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١] كيف تكفرون: كيف تتفرقون وكيف تتعادَون بعد أن جمعكم الإسلام؟ فمن أجل هذا نشأت منذ بداية شبابى وأنا أؤمن بالوحدة، وكنا نحفظ من الشعر الذى ننشده فى رحاب دعوة الإخوان المسلمين:

ولست أرضى سوى الإسلام لى وطنا
الهند فيه ووادى النيل سيّانِ
وكلّما ذُكر اسمُ الله فى وطنٍ
عددت أرجاءه من لُبِّ أوطانى

وأنا أكدت هذا المعنى فى نشيد لى اسمه: «مسلمون». وفى وقت من الأوقات كانوا فى بلاد العرب - أيام مدّ القومية العربية - يتغنون ويتنادون بالعروبة ويكادون يتناسون الإسلام. وكل شئ: عرب عرب عرب ... عربا كنّا ونبقى عربا. وأنا فى هذا الوقت أنشأت نشيداً اسمه: مسلمون. والنشيد اشتهر وشرّق وغرّب وخاصة على لسان الشباب، وفى بعض البلاد اتخذوه شبه نشيد وطني، فى جمهورية اليمن فى أيام الاريانى كان التلاميذ فى المدارس ينشدونه. والنشيد يقول:

مسلمون مسلمون مُسلمون — حيث كان الحقُّ والعدلُ نكون
نرتضى الموتَ ونأبى أن نهون — فى سبيل الله ما أحلى المنون

ويقول:

يا أخى فى الهند أو فى المغربِ — أنا منكَ، أنتَ منّى، أنت بى
لا تسل عن عُنصُرى عن نسبَى — إنَّهُ الإسلامُ أمّى وأبى
إخوةٌ نحنُ به مؤتلفون
مسلمون مسلمون مسلمون ... ...

فهذا المعنى يسيطر من قديم على تفكيرى وعلى توجهى ونفسى. وأرى أن من الأمور الأساسية أن تكون هذه الأمة أمة واحدة.

أمة لا أمـــم

والله سبحانه يعبّر عن المسلمين باسم الأمة. ولذلك أنا أُخطّئ الكتّاب والمفكرين والخطباء الذين يقولون: الأمم الإسلامية، ليست هناك أمم إسلامية، هناك أمة إسلامية واحدة ذات شعوب إسلامية. يقول سبحانه: ﴿ **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾ [الحجرات: ١٣]. وترديد كلمة «أمم إسلامية» انسياق وراء الاستعمار الذى يريد أن يجعل منا أمما، ونحن نريد أن نكون أمة كما أرادها الله، لا أمماكما أراد الاستعمار. قال سبحانه: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، و﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، و﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

توحيد الأمة من الأهداف الكبرى التى أعتَبُرها من رسالتى الأساسية، وينبغى أن تكون من رسالة كل داعية مسلم وكل عالم مسلم يريد أن ينهض باصلاح الأمة وتجديد الدين فيها.

فى تليفزيون قطر

كنت أذكر أمس موقفا لى حدث قريبا فى قطر. لى برنامج تليفزيونى هناك تحت عنوان: (هدى الإسلام). وهذا البرنامج يُعرَض منذ أن نشأ تليفزيون قطر حتى اليوم. والبرنامج إجابة على أسئلة ترد إلىّ وأنا أردّ عليها. فى الجمعة قبل الماضية جاءتنى رسالة من أحد الإخوة يقول لى فيها: أنا فلان بن فلان دخلت مسجدا من مساجد الدوحة لأصلى فيه، فإذا رجل يلمحنى فى المسجد فقام فى وجهى ثائرًا وقال: مالك ولهذا المسجد؟ ما الذى أدخلك هذا المسجد؟ هذا مسجد لأهل السنّة، وأنت لست من أهل السنّة. أخرج من هذا المسجد يقول صاحب الرسالة: كدت أذوب خجلا من هذا الموقف، لولا أن بعض الحاضرين من أهل العقل والحكمة أسكتوا هذا الرجل. وخرجت وأنا فى غاية الخجل مما حدث.

أنا انتهزت هذه الفرصة، وتوجهت باللوم على من فعل هذه الفعلة، وقلت: هذا الرجل لم يفهم الدين ولم يفهم العلاقات بين الناس. المسجد مفتوح للمسلمين أى واحد يريد أن يصلى فيه فأهلا ومرحبا. بالعكس هذا الشخص الذى دخل مسجد أهل السنّة ليصلى وهو شيعى إنما هون رجل رحب الأفق واسع الصدر ومتسامح وليس متعصبا. ولو كانت عنده عصبية عمياء لما دخل مسجدا من مساجد أهل السنة.

مثل هذا يجب أن نرحّب به ولا نضيق به. وأخذت معظم الحلقة وهى من خمسين دقيقة حول هذا الموضوع والعلاقة بين السنة والشيعة، وبين أبناء القبلة الواحدة. والسلف عبّروا عن وحدة هذه الأمة بعبارة موجزة معبّرة إذ سمّوا المسلمين: أهل القبلة ما داموا يصلون إلى قبلة واحدة، فهذا هو الجامع المشترك. وفى الحديث: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو منّا» فنحن أهل قبلة واحدة، ولا ينبغى أن يكون اختلاف المذاهب فى مسائل عائقا لنا عن أن تكون لنا أرضية مشتركة تكون أساسًا لعمل مشترك لخدمة الإسلام ونصرة قضايا الإسلام وإعلاء كلمة الإسلام وتوحيد أمة الإسلام، والوقوف بوجه مكائد أعداء الإسلام. وهذا هو أساس فكرة التقريب.

فكرة التقريب

أنا أريد أتحدث عن فكرة التقريب، ماذا نريد من وراء التقريب؟ هل نريد أن نجعل السنىَّ شيعيا، أو الشيعى سنيا؟ لا، هذا ليس مقصودا، ولو أردناه لكان خَبَلاً منّا.

فاستقرار المذاهب أدى إلى أنه لم يعد من السهل أن يتحول فرد من مذهب إلى آخر. فلا ينبغى أن يكون هدفنا التحويل من مذهب إلى مذهب. ولا ينبغى أيضا أن يكون هدفنا رفع الخلاف. هناك بعض الناس داخل أهل السنة يريد رفع الخلاف بين المذاهب مع بعضها. يقولون: لا نريد التعبد على أى مذهب، نريد إلغاء المذاهب. هذا فى الواقع ليس ممكنا. قلنا لهؤلاء: لو فعلنا ذلك فسنزيد على

المذاهب الثمانية مذهبا تاسعا، وعلى تعبير أهل السنة: نزيد المذاهب الأربعة مذهبا خامسا. لأن معنى ذلك أن تأتى بآراء جديدة يتبناها بعض الناس، وتصبح مذهبا، وهذا هو الواقع فعلا. هؤلاء الذين ينادون بالغاء المذاهب كوّنوا مذهبا آخر، ولكن ليس على رأسه مالك أو أبو حنيفة أو الشافعى أو جعفر الصادق أو زيد بن على. إنما على رأسه أناس لم يبلغوا - على الأقل - هذه الدرجة.

الاختلاف ضرورة

لذلك أنا أقول: ليس المقصود من فكرة التقريب رفع الخلاف. الخلاف لا بد منه. وأنا ذكرت فى كتاب لى تحت عنوان: «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» أن الاختلاف فى فروع الفقه وحتى فى فروع العقيدة سيظل قائما، فى مسائل العدل والتوحيد ورؤية الله فى الآخرة ومسائل القدر وأفعال العباد ومقدار العلاقة بين القدرة الإلهية والقدرة البشرية، والارادة الإلهية والارادة البشرية، الناس سيختلفون فى هذه الأمور.

وذكرت أن الاختلاف فى الفروع «ضرورة» و«رحمة» و«سعة».

هو ضرورة دينية. وضرورة لغوية وضرورة بشرية. وضرورة كونية.

هو ضرورة دينية لأن الله سبحانه وتعالى لم ينزل كتابه كله آيات محكمات قاطعة الدلالة يجتمع عليها الناس ولا يختلفون. ولكن ﴿ **مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ [آل عمران: ٧] النصوص التى جاءتنا: نصوص قطعية الثبوت فى القرآن الكريم وبعض الأحاديث المتواترة وهى محدودة. ونصوص ظنية الثبوت وهى تشمل معظم الأحاديث. وظنية الدلالة وهى معظم النصوص سواء كانت نصوص القرآن أو نصوص السنة. لا يمكن أن تجزم بأن هذه هى الدلالة الوحيدة. بعضهم قال: كيف تردّ الحديث؟ أنت تقول باجتهادك وأنا أقول بالحديث! قلت له: يا أخى، صحيح أنت تقول بالحديث ولكن حسب فهمك. الحديث معصوم ولكن فهمك ليس معصوما. كل واحد له فهم غير فهم الآخر تأخذ آية مثل آية الطهارة فى سورة المائدة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ**

إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] فى الآية خلافات شتى: هل الواو فى الآية تفيد الترتيب أو هى لمطلق الجمع كما يقول النحويون؟ هل تشترط النية أو لا تشترط، الآية لم تقل بالنية، إنما هذا استنباط. هل الموالاة شرط أو ليست شرطا؟ فى الآية قراءة «وأرجلِكُم» و«أرجلَكُم» فهل الآية تأمر بمسح الرجل كما يفعل الشيعة فى الوضوء أو غسلها؟ .. وهكذا .. فظنية الدلالة هذه أعطت متسعا للخلاف. وتجد هناك جماعة يهتمون بظاهر النص وآخرين يُعْنون بفحوى النص. المدرسة الحرفية الظاهرية، ومدرسة المقاصد التى تُعنى بمقاصد الشريعة. وهؤلاء موجودون. كانوا موجودين من عصر النبوة إلى يومنا هذا، وسيظلون موجودين إلى ما شاء الله. الذين يهتمون بالمقاصد والذين يهتمون بالظواهر.

ومعروف فى السيرة النبوية قضية قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلينَّ العصر إلا فى بنى قريظة». وفى الطريق حينما أوشكت الشمس أن تغرب، جماعة من الصحابة قالوا: إن الرسول ﷺ لم يرد منا أن نضيع الوقت، إنما أراد منا سرعة النهوض، فصلوا فى الطريق. وجماعة قالوا: لا، هو قال: فلا يصلينّ العصر إلا فى بنى قريظة، ونحن لا نصلى إلا هناك، ولو وصلنا فى منتصف الليل. وحينما بلغ النبى ﷺ فعل هؤلاء وهؤلاء، لم ينكر على طائفة منهم. لأن كلا منهم اجتهد حسب رأيه، فأقرّ الطائفتين. هناك إذن مجال للاختلاف، حسب التوجه. هناك من ييسّر ومن يشدّد. وهذا ما سأذكره فى الضرورة البشرية.

فأنا أقول هناك ضرورة دينية. إن الدين أراد هذه السعة، وأراد أن يكون بهذه المرونة ليتسع لطوائف الناس المختلفة، للمضيّق والموسّع والمشدّد والميسّر والحرفى والمقاصدى. ولو كان حرفا واحدا ووجها واحدا لضاق بالآخرين. فهذه ضرورة دينية.

وهو ضرورة لغوية لأن اللغة كما أشرت فى الآية الكريمة: حقيقة ومجاز وصريح وكناية وعام وخاص ومنطوق ومفهوم، وما يُفهِم بالعبارة وما يُفهم بالإشارة .. إلى آخره .. حتى إننا إذا بحثنا فى علم «أصول الفقه» نجد الفقهاء والأصوليين اختلفوا فى كثير من الأشياء: هل العامل دلالته قطعية أو دلالته ظنية؟ وإلى أى حدّ يخصص الخاص العام، ويقيّد المقيّدُ المطلق؟ ومفهوم المخالفة ما دلالته؟ وأشياء كثيرة، وهذه مباحث لغوية فى الحقيقة، ولذلك علم الأصول فيه مباحث هامة أساسها لغوية.

وهؤلاء الذين يبحثون فى علم اللغة أغفلوا مصدرا هاما من مصادر الدراسات اللغوية وهو علم أصول الفقه والمباحث اللفظية واللغوية فيه. هذه اللغة تتسع .. قال قوم فى قوله تعالى: ﴿**أو لامستم النساء**﴾ إن «لامستم» بمعنى وضع البشرة على البشرة. وهذه هى الملامسة بينما قال آخرون – كما جاء عن ابن عباس – إن المسه واللمس والملامسة فى القرآن كناية عن الجماع إن الله حييّ كريم يكنّى عما شاء بما شاء. فلامستم يعني الاتصال الجنسى كما جاء فى مواقع أخرى: ﴿**إن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ**﴾ [البقرة: ٢٣٦] ﴿**وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ**﴾ ليس معنى المس هنا وضع البشرة على البشرة. وحينما قالت مريم (ع): ﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾ [آل عمران: ٤٧] فهل يعنى أنه لم يضع بشرته على بشرتى؟! فهناك كنايات وهناك مجازات، والفقهاء يختلفون فى هذه المسائل.

الاختلاف أيضا ضرورة بشرية، لأن البشر يختلفون مع بعضهم فى التوجهات النفسية والفكرية. عُرف فى التراث الإسلامى: شدائد ابن عمر ورُخص ابن عباس. قال أبو جعفر المنصور للإمام مالك: أريدك أن تصنّف كتابا تتجنب فيه شدائد ابن عمر ورُخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود، وتوطأه للناس توطيئا .. هؤلاء صحابة .. ولكن لكل شخصيته التى تختلف عن شخصية الآخر. ابن عمر مشدّد كان يزاحم على الحجر الأسود حتى يدمى ويُجرح. قيل

له: لِمَ تفعل هذا؟ دع هذا لمن يأتون من بعيد .. من أفريقيا ومن البلاد البعيدة .. إنما أنت قرب الحجر. بَعدَ الحج قبّل الحجر كما تشاء. فقال: هفت القلوب إليه فأحببت أن يكون فؤادى معهم. أما ابن عباس فيقول: (فى تقبيل الحجر والتماسه) لآ يؤذى ولا يؤذى. والله خلق الناس هكذا. عندما تنظر إلى موسى وهارون عليهما السلام. كلاهما نبىّ ورسول من الله، ولكن لكل منهما طبيعة غير طبيعة الآخر، مع أنهما من أب واحد وأم واحدة. موسى قوى شديد: ﴿ **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ...** ﴾

[القصص: ١٥]

حينما جاء ورأى القوم قد عبدوا العجل ألقى الألواح التى كتبت فيها التوراة من الغضب، هو غضب لله. وأمسك برأس أخيه يجرّه إليه قال له: ﴿ **مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** ﴾

[طه: ٩٢ - ٩٤]

ثم إن الاختلاف ضرورة كونية لأن الله خلق الكون مختلفا ألوانه. وهذه العبارة تتردد كثيرا في القرآن الكريم: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٧ - ٢٨].

فاختلاف الألوان والتنوع هو مصدر ثراء للحياة فى كل جانب من الجوانب، فينبغى أن لا نضيق بالاختلاف لأنه يعطينا رؤى متعددة ووجهات نظر متنوعة. وقد تصلح رؤية لوقت ولا تصلح لآخر، ويصلح رأى لبيئة ولا يصلح لأخرى، ويصلح فكر لزمن ولا يصالح لآخر. فعندما تكون عندنا هذه الرؤى وهذه الآراء المتعددة تعطينا ثروة هائلة نستطيع أن نغترف منها ونستفيد منها فى إصلاح دنيانا، ونستفيد منها للتشريع فى عصرنا المتجدد المتطور.

* مع كل هذه الضرورات نرى فى المجتمع الإسلامى حالة تمزّق وتشرذم هى أقرب إلى العشائرية منها إلى الأمة، فما هو السبب؟

– المسلمون ينقصهم قراءة الإسلام بشكل صحيح وقراءة الواقع بشكل صحيح. أكثر المظاهر السلبية التى تسود فى العالم الإسلامى ومنها حالة التشرذم تعود إلى هذا النقص.

هب أننى مختلف مع الشيعى فى بعض المسائل. هل هذا يمنع أن نقف صفا واحدا فى القضايا المصيرية؟ ليختلف الناس. فالناس سيظلون مختلفين. ولكن هناك قضايا تلزمنى بأن أضع يدى بيد أخى وجارى وابن عمى ومَنْ بينى وبينه صلة ما لمواجهة الخطر الأكبر.

القرآن الكريم يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف: ٤] أى ساعة المعركة يجب أن تُنسى الخلافات الجزئية والجانبية كلها ويقف الناس صفا واحدا كأنهم بنيان مرصوص. لا يعلو صوت على صوت المعركة. لو عرفنا أننا فى معركة واحدة، وأن عدونا واحد، وأننا نواجه مصيرا واحدا لما سمحنا لهذه العصبية العشائرية والقبلية. الإسلام جاء وقضى على هذه العشائرية والقبلية وقال عنها: إن هذه جاهلية .. دعوها فإنها منتنة. واعتبر من دعا إلى عصبية فليس من المسلمين .. ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية .. ومن قتل فى هذا فقتلته جاهلية. فيجب أن نبرأ من هذه العشائرية ونتكلم بمنطق الأمة الواحدة.

لو فقهنا منطق العصر لعرفنا أنه التكتل وليس التمزق الكيانات الصغيرة لا حياة لها ولا وجود لها. لا يمكن أن تقوم وأن تستمر فى هذا العالم إلا بضمان القوى الكبرى. إذا أردت أن تعيش فى هذا العالم وأنت صغير لا بدّ أن تحتمى بكبير ما، وبهذا تكون قد فقدت إرادتك وحريتك واستقلالك وأصبحت ذنبا لغيرك.

الكيانات الآن فى العالم تتكتل وتتضامن وتتلاحم بعضها مع بعض. رأينا

التكتل الأوربى. أوربا تتحكتل بشكل سياسى وبشكل اقتصادى وبشكل ثقافى. ورأينا ذلك فى أمريكا وكندا .. المسلمون أيضا بحاجة إلى أن يتكتلوا، وهم أولى من غيرهم بذلك. لا يمكن أن يعيشوا، لا يمكن أن يدخلوا عصر التكنولوجيا المتطورة دون تكتل.

نحن نرى الآن فى أوربا أن أكثر من دولة من الدول الصناعية الكبرى تشترك فى صنع طائرة ذات إمكانات ضخمة لا تستطيع دولة من الدول الكبرى بمفردها أن تصنعها. بل قيل: إن عددا من الدول الكبرى تشترك فى صنع محرك طائرة. فكيف نستطيع نحن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة، وعصر الثورات: الثورة الفضائية والثورة التكنولوجية والثورة المعلوماتية .. كيف نستطيع أن ندخل هذا العصر فرادى مبعثرين .. لا يمكن إلا أن نكون كيانا كبيرا. المرء قليل بنفسه كثير باخوانه .. ضعيف بمفرده قوى بأمته. نحن - كأمة - قوة كبرى. إنما نحن كشعوب وكأوطان مزقها الاستعمار، وجعل الدول القطرية هى الأساس لا يمكن أن يكون لنا وزن وأن يكون لنا شأن فى العالم بهذا التمزق.

الله سبحانه ينبهنا إلى حقيقة كبرى حين يقول: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٣] والفقهاء عندنا يقولون: الكفر كله ملة واحدة. «إلا تفعلوه» أى إن لا يوالى بعضكم بعضا ويساند بعضكم بعضا، ويتلاحم بعضكم مع بعض ويتكتل بعضكم مع بعض تكن فتنة وفساد كبير، لأنه سيكون التكتل فى جانب الباطل والتمزق فى جانب الحق، وهذا فتنة فى الأرض وفساد كبير. فالواقع يحتم على المسلمين والدين يحتم على المسلمين أن يتلاحموا فيما بينهم، وأن يبحثوا عن القواسم المشتركة، لا أن يبحثوا عن نقاط التمايز والاختلاف. إذا بحثت عن نقاط التمايز والاختلاف سأجد بينى وبين الشيعة، بل سأجد بين مذاهب أهل السنة تمايزا واختلافا. جماعة تهاجم الأشعرية والماتريدية، وهم من أهل السنة. وهناك حرب

بين الصوفيين والسلفيين .. وبين وبين .. إنما الأولى أن نبحث عن القواسم المشتركة ونكوّن الأرضية التى ننطلق منها لاعلاء شأن الإسلام ومجابهة أعداء أمة الإسلام ورسالة الإسلام، وتقوية هذه الأمة حتى تقوم برسالتها.

* المشكلة ليست فى عامة الناس فحسب بل المشكلة فى العلماء أيضا. هذه الفتاوى الشاذة والمواقف المتطرفة التى تصدر عمن يسمون أنفسهم علماء بتكفير هذا وإحلال دم ذاك تزيد الطين بَلّة وتعمل على مزيد من التمزيق، ما رأيكم فى ذلك؟

- كان لى حديث أخيرا مع بعض العلماء الأفاضل، وتحدثنا عن هذا الموضوع، وقلت لهم: الآفة ليست فى العامىّ المحض ولا فى العالم الخالص. العالِم الحقيقى ليس من ورائه شر إن شاء الله. والعامىّ المحض ليس من ورائه شر أيضا، لأنه يتبع العالم فى الغالب ويسأله. إنما المشكل فى أنصاف العلماء.

قالوا: إنما أفسد العالم هؤلاء الانصاف، نصف طبيب ونصف نحوى ونصف متكلم ونصف متفقه. نصف الطبيب أفسد الأبدان، ونصف النحوى أفسد اللسان، ونصف المتكلم أفسد الأديان ونصف المتفقه أفسد البلدان بفتاواه.

هؤلاء الأنصاف .. هؤلاء الذين قرأوا بعض الكتب فى الأحاديث واستمعوا إلى بعض الأشرطة رأوا أنهم أصبحوا أئمة، وينظر بعضهم إلى نفسه أنه شيخ الإسلام. وإذا قيل له: أبو حنيفة قال كذا ومالك قال كذا، يقول: هم رجال ونحن رجال!!

هذا «المفعوص»! كما نسميه يعتبر نفسه رجلات رأسه برأس أبى حنيفة ومالك!! هذه هى المشكلة. هؤلاء غالبا لم ينشأوا النشأة الإسلامية الصحيحة، ولم يأخذوا العلم من أهله. كان السلف يقولون: لا نأخذ العلم من صُحفى، ولا القرآن من مُصحفى. والمصحفى هو الذى تعلّم القراءة من المصحف فقط ولم يتلق القرآن من قارئ مجيد يلقنه القرآن كلمة كلمة وحرفا حرفا. إذا أردنا أن

نتعلم القراءة وعلم القراءات لا بد أن نأخذه عن شيخ مُقرئ. وكذلك لا نأخذ العلم عمن أخذ علمه من الصحف ومن الكتب ولم يتلقاه على يد الشيوخ المتقنين.

لا بدّ أن يتربّى فى الحلقة العلمية وفى جوّ العلم وفى مناخ العلم. العلم له جوّ وليس مجرّد أنك تقرأ كتابا وتفهم العبارات فهما قد يكون خاطئا، لأنك لم تجد من يسددك ويرشدك ويبين لك خطأك.

هؤلاء فى الغالب يكونون من هذا النوع .. الصحفيون، أخذوا العلم من الصحف ولم يأخذوه عن أهله وشيوخه المتقنين له.

نحن فى حاجة أن نوعى الأمة على خطر هؤلاء، وأن نقف بوجه هؤلاء الذين اجترأوا على الفتوى. العلماء الكبار يتهيبون الفتوى. وأنا أحيانا أُسأل، وتأتينى رسائل فأوجلها .. وأؤجلها، لأنى لم أكوّن رأيا فيها ناضجا استريح إليه. وهؤلاء يفتون فى أعوص المسائل وفى أخطر القضايا، فلذلك نقول: يجب أن نحذر من هذا الشباب الذى وضع نفسه موضع الفتوى وموضع التوجيه فى قضايا الأمة، ويجب أن تكون الأمة على وعى وبصيرة فى هذه الناحية. فمهمتنا توعية الأمة فى هذه القضية والتحذير من هؤلاء الذين ابتليت بهم أمتنا فى العصر الأخير.

* عاصرتم الصحوة أكثر من نصف قرن، وعشتم أحداثها وكتبتم عنها، ما هو رأيكم فيمن يقول إنها هيجة عارضة وردود فعل عابرة سوف تنتهى عاجلا؟.

– القوى المعادية للأمة الإسلامية أقلقتها هذه الصحوة وأزعجتها وزلزلت كيانها، وأرادت أن تخترع لها أسبابا ودواعى وبواعث. هناك من قالوا: إن هذه الصحوة ذات أسباب اقتصادية. البطالة فى البلاد الإسلامية ومشاكل الشباب. وهناك من قال: إنها ردة فعل نتيجة الأحباط تجاه ما قامت به الأنظمة فى البلاد الإسلامية. وهناك من قال فى مصر: إن هذه الصحوة صنعها أحد حكام مصر ليضرب الشيوعيين.

كأن هذه الصحوة قطعة من العجين تشكّلها كيف تشاء . .

هذه صحوة هائلة . . صحوة أمة . وهى صحوة عالمية، وليست فى بلد واحد . وإذا كان هذا الحاكم صنعها فى مصر، فما الذى صنع الصحوة فى إيران وباكستان وأفغانستان وفلسطين والجزائر، بل ومن الذى صنع الصحوة خارج العالم الإسلامى أنا من الرحَّالة الذين يطوفون فى الأرض، وجدت هذه الصحوة حتى خارج العالم الإسلامى، فى أوربا وأمريكا الجنوبية وفى الشرق الأقصى .

حيثما ذهبت فى الأرض وجدت هذه الصحوة .

قد تكون هذه الأسباب التى يذكرونها من الأشياء المُعينة، ولكن الأساس فى الأمة الإسلامية هى أنه يمكن أن تنام ولكن لا يمكن أن تموت . فهناك قرآن يتكرر على أسماعها آناء الليل وأطراف النهار، وهناك سيرة نبوية وسنة محمدية، وهناك تاريخ حافل وحضارة، وهناك تراث شامخ وثرى . هذا كله يغذى هذه الأمة ويجعلها لا تستسلم للنوم الطويل . قد تنام فترة من الزمن ولكن لا بد إن تستيقظ . وعلى فترات التاريخ الأمة أصابها ما أصابها ولكن كانت تخرج بعدها إلى استعادة دورها . الصليبيون هاجموها من الغرب والمغول من الشرق، ولكن الله هيّأ لها رجالا أيقظوها من سبات، وجمعوها من شتات، وأحيوها من ممات، أمثال عماد الدين زنكى، ونور الدين الشهيد محمود، وصلام الدين الأيوبى، والظاهر بيبَرس، وغيرهم من الذين تصدوا لهذه القوى وردّوها مدحورة وعادت الأمة من جديد .

فى عهد الاستعمار، الاستعمار دخل بلاد المسلمين وقاومت الأمة، وكان الذى يحرك الأمة لمقاومة الاستعمار هو الدين كما شهد بذلك المؤرخون بما فيهم الغربيون . برنارد لويس قال : إن الحركات الدينية وعلماء الدين كانوا هم المحركون الأوائل لحركات التحرير فى العالم الإسلامى، وهذه حقيقة، فاستطاع هؤلاء أن يحركوا الأمة . وقام مجددون فى كل جهة من جهات الإسلام ومصلحون يعمل كلٌّ فى تحريك الأمة . وحركات التجديد والإصلاح والإيقاظ صنعت صنعها حتى تفجرت فى هذه الصحوة .

فليس الصحوة وليدة اليوم أو بنت الأمس وإذ ذَكرْتُ الصحوة فلا بد أن أذكر كل من ساهموا فيها من جمال الدين الأفغانى إلى محمد عبده، إلى عبد الرحمن الكواكبى إلى محمد إقبال إلى شبلى النعمانى، إلى حسن البنا، إلى سيد قطب، إلى مصطفى صادق الرافعى، إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمى والشيخ الثعالبى إلى محب الدين الخطيب .. هناك كوكبة هؤلاء كلهم ساهموا، حتى جاء الوقت الذى تفجرت فيه هذه الصحوة.

وهى ليست مجرد صحوة ذات جانب عاطفى، وجانب حماس. والحماس مطلوب أيضا فى الصحوة، ولكنها صحوة عقول أيضا، تقرأ الكتاب الإسلامى.

المعارض الدولية للكتاب أثبتت أن الكتاب الأول وصاحب الرقم الأول فى التوزيع هو الكتاب الإسلامى. فهى إذن صحوة عقول، فيها وعى، وصحوة إرادات وعزائم، ولذلك وقفت أمام الاستعمار ووقفت أمام القوي الغازية. هى صحوة سلوك والتزام. ظهر هذا فى المساجد التى عَمرت بالشباب. كانت المساجد لا يعمرها إلا الشيوخ الكبار. والآن اذهب إلى أى بلد إسلامى تجد أن الذين يعمرون المساجد هم الشباب. انظر إلى مواسم الحج والعمرة، كان الذين يذهبون إلى مواسم الحج والعمرة الشيوخ الكبار، كما قال الإمام الغزالى: الحج هو تمام الأمر وختام العمر. يختمون حياتهم بالحج. والآن اذهب إلى العمرة فى رمضان تجد تسعين بالمائة من الشباب. وهكذا فى مواسم الحج.

المرأة فى البلاد الإسلامية كانت قد تفسخت تفسخا تاما، كنت أمشى فى الستينات فى عواصم البلاد العربية فلا أكاد أجد امرأة محجبة، حتى المرأة العجوز التى أكل الدهر عليها وشرب كانت متخلعة. ثم جاءت هذه الصحوة فإذا بالشابات المسلمات فى الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس وفى شتى ساحات الحياة يلتزمن الحجاب. هذه حركة إسلامية نسائية اختيارية طوعية هذا كله من عمل الصحوة. رأيت فى الجزائر انتشار الحجاب انتشارا هائلا بعد أن كان قليلا.

ثم إن هذه الصحوة أثبتت وجودها على الصعيد الاقتصادى. قامت البنوك الإسلامية. والمؤسسات التجارية الإسلامية، وانتشرت فى أنحاء العالم. وهذا كله جاء نتيجة من شعور المسلم السبى تجاه المعاملة بالربا، وحاجته إلى مؤسسات تغنيه بالحلال وتجنبه الحرام.

على المستوى الجهادى. الجهاد فى أفغانستان كيف قام؟ وإن كان إخواننا مع الأسف فى أفغانستان قد خذلونا ولم يؤت جهادهم بالثمرة التى كنا نرجوها، ولكن هذا الجهاد دوّخ أعتى دولة ملحدة فى الأرض والقوة الثانية فى العالم على يد الأفغان، هذا من أثر الصحوة. ولم يكن جهاد الافغانيين وحدهم، بل كان جهاد رجال الصحوة فى العالم بالمال والرجال.

فى فلسطين، إخواننا فى حماس وفى الجهاد الذين زلزلوا بعملياتهم الاستشهادية كيان العدوّ، وإخواننا فى حزب الله بجنوب لبنان. هذا كله من أثر الصحوة الإسلامية. التنادى بتطبيق الشريعة فى العالم .. من أين جاء؟ هذا كله من أثر الصحوة.

ونحن الآن فى إيران .. الثورة الإسلامية التى قامت فى إيران، وأقامت دولة للإسلام فى إيران. من أين جاءت هذه الثورة .. هى ثمرة من ثمرات هذه الصحوة. الصحوة الإسلامية أثبتت وجودها. والقول إنها مجرد ردّ فعل ومجرد هوجه عاطفية وزوبعة فى فنجان، هذا تهويم من قدر هذه الصحوة العظيمة.

صحيح أنها تحارَب الآن ويكال لها من كل جانب، وتوضع أمامها العقبات من هنا وهناك .. ولكن نحن نعتقد أن الصحوة لن تموت إن شاء الله، وأنها باقية وستستمر وستنتصر بإذن الله والمبشرات عندنا أكثر من العقبات.

* صدرت عنكم أخيرا فتاوى مثيرة بشأن الربا وبشأن «زواج الميسار» ودار حولها كلام كثير فما هى حقيقة هذه الفتاوى؟

– بالنسبة إلى ما أثير حول مسألة الربا فهو موضوع أفتيت به الأخوة أخيرا فى أمريكا وأوربا. لقد كنت من المتشددين فى هذا الموضوع منذ مدّة طويلة، منذ

٢٥ سنة وأنا أزور أمريكا وأوربا في المؤتمرات الإسلامية والندوات، وخاصة مؤتمرات الطلبة المسلمين. وكنت أُسأل فى قضية التعامل بالربا، وخاصة فى قضية شراء البيوت، وكنت مشددا فى هذا، وأرى المنع.

ولكن منذ سنوات تغيّر اجتهادى فى هذا، وأصبحت أُفتى بمذهب أبى حنيفة، الذى يقول: يجوز التعامل بالعقود الفاسدة فى دار الحرب.

ويقصد بدار الحرب ما ليس بدار الإسلام، لأن التقسيم عنده ثنائى: دار حرب ودار إسلام، وليس عنده التقسيم الثلاثى الذى قال به بعض الفقهاء وهو: دار الإسلام ودار الحرب ودار العهد. فدار الحرب عنده ما ليس بدار الإسلام.

يقول أبو حنيفة إن التعامل بالعقود الفاسدة فى تلك البقاع جائز للمسلم بشرطين:

الأول: أن لا يكون فى ذلك غدر ولا خيانة. أى أن يراعى المسلم العنصر الأخلاقى فى تعامله.

الثانى: أن يكون من وراء ذلك مصلحة للمسلم. ووجدت هذا معقولا، فليس من المعقول أن يأتى الإسلام ليطعم المسلم لغير المسلم، ويجعل المسلم يخسر مالَه. قال أحد الأخوة: أنا جئت إلى هنا منذ ٢٥ عاما، ولو كنت من أول ما جئت اشتريت بيتا بقرض ربوى من البنك لكنت منذ ذلك الوقت صاحب بيت ولكان هذا الإيجار الذى دفعته قد سدّد ذلك القرض.

أنا رأيت فى الحقيقة أن فتوى أبى حنيفة تحقق مقصد الشريعة فى إعلاء شأن المسلم. والإسلام يعلو ولا يعلى عليه، لا يمكن أن يخسر المسلم بالإسلام بينما يكسب غيره.

أما قضية زواج «المسيار»[١] فهى أحدثت أخذا وردا وجذبا وشدا. حين سئلت فى برنامج تلفزيونى عن هذا اللون من الزواج قلت: أنا لا تهمنى التسمية

---

(١) لعلم القارئ: إن زواج المسيار كما يسمونه يعنى أن يتزوج رجل بامرأة دون أن يبقى عندها، بل يمرّ عليها بين فترة وأخرى. ويكون دون علم الزوجة الأولى عادة. (التحرير).

العبرة فى الأحكام الشرعية تدور على المسميات والمضامين لا على الأسماء والعناوين.

الذى يهمنى من الزواج أن تتحقق مقومات معينة فى هذا العقد. الإيجاب والقبول - وأن يوجد شهود على الأقل شاهدان وهذا هو الحد الأدنى للاشهاد والإعلان من الناحية الشرعية فى نظرى - ومالك والشافعى وأحمد يشترطون الولى. قلت لهم: فى بلدان منطقتنا يجب أن يكون الولى - ثم أن يوجد مهر: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء: ٤] - الأمر الآخر نية الاستمرار. وإذا وجد الزواج بهذه الأركان والشروط، ما المانع منه؟ قالوا: ليس فيه الزواج الكامل. أى إن الرجل لا يبقى مع المرأة مستمرا، يذهب إليها فى بعض الأحيان. قلت: ليس من الضرورى أن يحقق الزواج أهدافه المثالية كاملة. الزواج المثالى أن يعيش معها. ولكن هذا زواج يحقق بعض الأهداف، فهو يحصّن المرأة ويعفّها، ويحصّن الرجل ويعفه. بدل أن يفكر الرجل أو تفكر المرأة فى الحرام يرتبطان برباط حلال شرعى.

قد تكون المرأة عندها بيت، ولا تريد أن تنتقل إلى بيت الرجل، وعندها مال، والمرأة فى عصرنا أصبحت فى كثير من الأحيان لديها موارد، مدرّسة .. طبيبة صيدلية .. محامية. ثم إن كثرة كاثرة من النساء فى منطقتنا عوانس، وقد فاتهن قطار الزواج، إذا أضفت اليهن المطلقات وهن كثر أيضا فى المنطقة مع الأسف والأرامل، أصبح عندنا عدد كبير. فإذا استطعنا أن نحل مشكلات هؤلاء الناس بهذا الزواج فما المانع؟ قال أحدهم: هل يمكن أن يتزوج شخص من أجل المتعة فقط؟ قلت: لمض لا يا أخى. هو الإحصان. أنا أحصّن نفسى بالحلال وأحصّن المرأة بالحلال، هذه قيمة كبيرة. فى الحديث الصحيح: « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج». فأشار إلى مسألة العفة، ومسألة العفّة والإحصان قيمة كبيرة عندنا فى الإسلام.

الغربيون سلكوا لاطفاء الشهوة طريق الإباحية، عن طريق ما يسمونه بوى فريند، أو جيرل فرند. ولكن نحن لا نقبل هذا فى الإسلام. لا نقبل العلاقة إلا ضمن رباط شرعى. فما المانع أن نبيح هذا ونجيزه ليتمتع الناس بالحلال، وكثيرا ما ينقلب هذا إلى زواج عادى رب رجل توفيت زوجته الأولى فتصبح هذه الزوجة هى الأصلية ويبقى معها دائما. فهذا هو زواج المسيار، وأنا كتبت فيه بحثا نشرته الصحف القطرية وبعض الصحف الخارجية.

بالمناسبة أنا تحدثت فى كتابى «الحلال والحرام فى الإسلام» عن زواج المتعة والخلاف فيه. بعض الناس عقّبوا على هذا الموضوع. وقالوا: ما كان للشيخ القرضاوى أن يشير إلى الخلاف فى زواج المتعة. وكان لا بد أن يقول إنه حرام قطعا قولا واحداً، ولا يثير أى خلاف فيه. وأنا رددت عليهم: وقلت أنا أحرص أن تظل الأحكام فى مرتبتها الشرعية. أى توجد أحكام إجماعية لا خلاف فيها، يجب أن نذكر أنها إجماعية. وأحكام مختلف فيها، يجب أن تبقى وإلا غيّرنا طبيعة الحكم. هذا أمر قال به الشيعة، وروى عن ابن عباس. قالوا: إن ابن عباس رجع عنه، وروى الخلاف فى رجوعه، هل رجع أم لم يرجع، لأن بعض تلاميذ ابن عباس ظل يفتى بالمتعة. هذه القضايا يجب التسامح فيها، وترك كل مذهب على رأيه، ولعل فى هذا توسعة على بعض الناس.

* الموقف الإسلامى من الغرب وتياراته الفكرية لا يزال الحديث الأول فى الساحة الإسلامية، ما رأيكم فى الموقف الصحيح من الثقافة الغربية؟

– بالنسبة إلى الموقف من الغرب وتياراته وفلسفته وثقافته وحضارته هناك من يرى ضرورة التحصّن أمام كل ما يرد من الغرب ومنع أى تعامل مع تياراته المختلفة وأن نعيش فى الصومعة معزولين عن كل ما يجرى حولنا. وهو تيار لم يعد ممكنا فى هذا العصر.

ربّما كان ممكنا فى وقت من الأوقات .. أيام الإمام يحيى فى اليمن. كان يريد اليمن بعيدا عن كل تأثير غربى، بل بعيدا حتى عن منتجات المدنية الغربية

كالقطارات والسيارات. وإنما ينتقل من مدينة إلى مدينة على ظهور الخيل والبغال والحمير. وكان يقول: الحمار ولا الاستعمار.

لم يعد هذا ممكنا. أصبح العالم متقاربا. أصبح كما يقولون: قرية كبرى. وأنا أقول: أصبح قرية صغرى. فى القرية الكبرى قد لا يعلم الناس ما يجرى فى أطرافها. ونحن نعلم ما يجرى فى العالم خلال دقائق، بل لحظات، بل فى نفس اللحظة.

لا يستطيع الإنسان أن يعيش فى عزلة.

. وهناك موقف مضاد للأول، يرى ضرورة الذوبان فى الغرب. دعا إليه فى العالم العربى سلامه موسى وطه حسين وغيرهما .. دعوا إلى أن نأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرّها، وما يُحبُّ منها وما يُكره، وأن الحضارة لا تتجزأ، لا يجوز أن تأخذ الجانب العلمى أو التكنولوجى منها ولا تأخذ الجانب الفلسفى والفكرى والقيمى والتشريعى. إما أن تأخذها كلها أو تدعها كلها. وهذا غلط.

وهناك رأى وسط – وهو الذى نتبناه – فى التعامل مع الغرب. نأخذ منه ما يلائمنا، وندع ما لا يلائمنا. يلائمنا من الغرب العلوم الطبيعية والرياضية والتكنولوجية وتنظيم الإدارة والمنجزات الكثيرة فى تهيئة الطبيعة لخدمة الإنسان، والعمل على رفاهية الإنسان وتحسين صحته وأمثال ذلك .. هذه نأخذها من الغرب، وفى الواقع أننا حين نأخذها من الغرب، فهى بالمنظار التاريخى الصحيح بضاعتنا رُدّت إلينا. لأن الغرب إنما أخذ المناهج العلمية والتجريبية منّا نحن المسلمين. نحن الذين علّمنا الغرب هذه المناهج وأخرجناها من الفسلفة التجريدية النظرية إلى التطبيق وإلى الاستقراء وإلى التجربة.

المسلمون قرروا هذا المنهج نظريا وطبقوه عمليا على يد الأطباء المسلمين والفلكيين والرياضيين وغيرهم من العلماء الذين كانت أسماؤهم أشهر الأسماء

فى العالم فى ذلك الوقت وكانت كتبهم مراجع للعالم وكانت اللغة العربية التى كتبت بها هذه العلوم هى اللغة الأولى.

الرازى فى كتابه الحاوى، أو ابن سينا فى كتابه القانون، أو ابن رشد فى كتابه الكليات، أو الزهراوى فى كتابه التصريف .. كتبوا هذه الكتب، وترجمت الى اللاتينية وانتفع بها الأوربيون.

نحن فى الواقع حين نأخذ من الغرب العلوم الرياضية والطبيعية وانجازاتها وتطبيقاتها التكنولوجية، إنما هى بضاعتنا تُردّ إلينا.

إنما الذى ينبغى أن لا نأخذ من الغرب هو الجانب الآخر المتعلق بالقيم وفلسفة الوجود والحياة .. الأسس الفلسفية. نظرة الفرد إلى الكون والحياة وإلى المجتمع وإلى التاريخ، نظرته إلى القيم وإلى الوجود وإلى ربّ هذا الوجود. هذه يجب أن نأخذها من الإسلام.

الخطر الآن أن هناك من يريد أن يجعل من ثقافة الغرب وحضارة الغرب بأنها «كونية» يقول هذه ليست ثقافة تختص بالغرب، وإنما هى ثقافة الكون والعالم. وهذه مغالطة من دون شك. هذه الثقافة تحمل فلسفة الغرب ونظرة الغرب إلى الدين وإلى الحياة وإلى الله.

ولكل أمة خصوصيتها. ونحن لنا خصوصيتنا ولا ينبغى أن نلغى خصوصيتنا ونذوب فى غيرنا وننماع. لهم دينهم ولنا ديننا. لهم قيمهم ولنا قيمنا. لهم شرائعهم وقوانينهم ولنا شرائعنا وقوانيننا. فيجب أن تظل كل أمة متميزة بحضارتها وثقافتها وقيمها الموجهة لها والمحركة لأبنائها. ونحن أبناء حضارة متميزة وتتميز حضارتنا بأنها جمعت بين العلم والإيمان، أنزلت الروح بالمادة، العقل بالقلب، السماء بالأرض. لم يكن عندنا انفصال بين هذه الأشياء ولا عداوة بين هذه الأشياء لم يعاد الدين العلم فى تاريخنا، بل العلم عندنا دين والدين عندنا علم. لم يوجد فى تاريخنا ولا فى تراثنا صراع بين هذه المتقابلات كما حدث فى الغرب وفى كنيسته. وثار الناس على الكنيسة لأن الكنيسة

وقفت مع الجهل ضد العلم، ومع الجمود ضد التحرر، ومع الظلم ضد العدل، ومع الملوك ضد الشعوب، ومع الاقطاعيين ضد الفلاحين والمستضعفين فى الأرض. نحن لم نفعل ذلك، ولا نتحمل تاريخ غيرنا.

لا بد أن نفقه هذا ونقف من الغرب الموقف العدل، ونحذر من الغزو الذى يشنه الغرب ثقافيا. الغرب رحل بعساكره ولكن يريد أن يفرض سيطرته بثقافته ومفاهيمه وقيمه. وخاصة فى عصرنا هذا الذى يسمى عصر «العولمة» وعصر «الأقمار الصناعية» و«القنوات الفضائية» و«البث المباشر». ولم يعد من السهل أن تعيش الأمة فى برجها العاجى أو فى صومعتها المنعزلة. ينبغى أن نعدّ العدّة لمواجهة هذا الغزو. لا يكفى أن نقول هذا حرام .. لا بدّ أن نوجد بدائل. وكل شئ باطل له بديل من الحق. وكل شئ من الحرام له بديل من الحلال. المفروض علينا نحن المسلمين أن نهئ هذه البدائل الإسلامية لنواجه بها أباطيل الغرب خصوصا فى عصر الغزو الكبير هذا. الذى لم يعد مقصورا على كتاب وعلى مبشر أو مستشرق إنما أصبح بهذه القنوات والوسائل الكبيرة التى تؤثر فى شعوب بأكملها.

* بالنسبة لمسألة التحصين الثقافى، ما هى كتبكم التى تعطونها الأولوية فى قدرتها على إعطاء هذا التحصين بإذن الله؟

- تعلم أن كل مؤلف يعتبر كتبه مثل أولاده، وتفضيل الأولاد بعضهم على بعض لا يستطيع الأب أن يفعلها.

ولكن فى مجال التحصين الفكرى والثقافى أرى لى كتبا لها أهميتها منها قديمة ومنها حديثة صدرت خلال السنوات الأخيرة.

من الكتب القديمة: كتابى: «الإيمان والحياة» ويعمل على ترسيخ منطق الإيمان من منطلق عقلى ونفسى وحيوى، يتصل بالحياة. ولا يكتفى بقال الله وقال الرسول. وهو مهم لترسيخ العقيدة.

ومنها «الخصائص العامة للإسلام» وأرى هذا الكتاب مهما، لأنه يوضح

المزايا الكبرى للدين المبين فى عقيدته. وشريعته ومنهاجه وعبادته من الربانية والإنسانية والإخلاقية والواقعية والوسطية. إلى آخر هذه الخصائص.

ومن الكتب الجديدة:

«الثقافة العربية الإسلامية بين الإصالة والمعاصرة». ومنها كتبى فى ترشيد الصحوة:

«الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف»، «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»، «الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى والإسلامى».

وهناك كتب ظهرت أيضا بعد ذلك فى المدة الأخيرة:

«أولويات الحركة الإسلامية»، و«فقه الأولويات»، و«عوامل السَّعة والمرونة فى الشريعة الإسلامية». و«كيف نتعامل مع السنّة النبوية»، و«كيف نتعامل مع القرآن العظيم» وهو أحدث كتبى.

وهناك سلسلة أحب أيضا أن تأخذ حظّها، وهى تتحدث عن التصوف الإسلامى، ولكن بالمنهج الوسطى. وتعلم أننى أتبنّى المنهج الوسطى فى كل ما أكتب أو ما أتحدث به أو أفتى به. لست مع المتسيبين ولا مع المتزمتين. أرجو أن أكون من هذه الأمة الوسط. ومن قال عنهم سيدنا على رضى الله عنه: عليكم بالنمط الأوسط الذى يلحق به التالى ويُردّ إليه الغالى، أريد أن أكون من هذا النمط الأوسط، كما قال تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩].

فى ضوء هذا المنهج الوسطى أصدرت سلسلة فى تيسير فقه السلوك تحت عنوان: «فى الطريق إلى الله» صدر منها أربعة كتب:

الأول: الحياة الربانية والعلم. لا أذكر كلمة تصوف، لأن بعض الناس ما إن يسمع هذه الكلمة حتى يترك الكتاب ويهجره، وأنا أريد أن يقرأه، فأطلقت اسم الحياة الربانية.

الثانى: النية والإخلاص.

الثالث: التوكل على الله.

الرابع: التوبة إلى الله، وظهر قبل أشهر. وأنا مستمر فى هذه السلسلة.

بالمناسبة ذكرت فى كتابى: «كيف نتعامل مع القرآن العظيم» أن هذا هو قرآن المسلمين جميعا سنة وشيعة.

تعرف أن هناك من يقول إن الشيعة عندهم مصحف آخر هو مصحف فاطمة وأمثال ذلك. أنا قلت: هذا هو المصحف الذى يقرأه المسلمون جميعا، لا نرى عند الشيعة فى إيران والعراق وفى سائر العالم الإسلامى مصحفا غير هذا المصحف، فهو الذى يحفّظونه لأولادهم، والذى يقرأون به فى صلاتهم، وهو الذى يعلمون به فى التليفزيون، وهو الذى يفسره مفسروهم وهو الذى يستدلون به فى كتب الفقه، ويستدلون به فى كتب العقائد. لا يوجد غير هذا المصحف.

وعندى رسائل أصدرتُ منها تسع رسائل إسمها رسائل ترشيد الصحوة تتحدث عن بعض الأمور أراها هامة. بعضها انتزعتها من كتبى وأضفت لها بعض الإضافات مثل: كتاب الدين فى عصر العلم، وكتاب الإسلام والفن، ومركز المرأة فى الحياة الإسلامية، والمبشرات بانتصار الإسلام، وآخر رسالة تطبع الآن هى: القدس قضية كل مسلم.

ونسيت كتابا مهما وهو: «ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده».

وتصلنى أسئلة فقهية فأجيب عليها إجابات استدلالية، فيشكل كل جواب بحثا فقهيا، وصارت هذه البحوث كتابين، وأنا بصدد إعداد الكتاب الثالث تحت عنوان: «فتاوى معاصرة».

* سألت فضيلته: على أى مذهب؟

- قال ضاحكًا: على مذهب الشيخ القرضاوى ثم قال: أنا مذهبى حنفى،

وهو المذهب الذى درسته فى الأزهر ثم درست المذاهب فأصبحت حين أسأل عن مذهبى أقول: حنفشعى.

ولا بأس أن أذكر لك قصة لطيفة حصلت لى سجلتها فى الجزء الأول من كتاب: فتاوى معاصرة.

حينما كنت طالبا فى القسم الثانوى كنت أدرس الفقه لأبناء قريتنا، فقه العبادات. وقريتنا شافعية المذهب. معظم الريف فى الوجه البحرى من مصر على المذهب الشافعى. وجرت العادة عند مشايخنا أن يدرّسوا الفقه فى قريتنا على المذهب الشافعى. حتى من كان منهم على المذهب الحنفى يدرّس الناس على المذهب الشافعى لأنه مذهب أهل القرية.

كنت آنئذ متصلا بالإخوان المسلمين، وقرأت كتبا خارج المذاهب وتأثرت بهذه القضية، فكنت أدرّس الفقه على المذهب الشافعى ولكنى كنت أذكر آراء المذاهب الأخرى.

ثمة رأى فى الفقه الشافعى يقول: لمس المرأة ينقض الوضوء إذا لم تكن محرما، البنت والأم لا تنقض، أما الزوجة فتنقض الوضوء. وهذه القضية كانت تحدث فى الريف المصرى مشكلة وخاصة فى فصل الشتاء حيث الجو بارد والماء بارد الرجل يتوضأ ويذهب فيصلى المغرب ويعود إلى البيت ليتعشّى، فتناوله امرأته العشاء، وقد تخطئ فتلمسه. آه لقد نقضت وضوئى .. فيحدث شجار وتقوم معركة .. وكنت أقول لأهل القرية: إن مجرّد لمس المرأة لا ينقض الوضوء خاصة إذا لم يكن عن شهوة.

مرة حدثت فى عائلة هذه المشكلة، لمست المرأة يد الرجل، وأوشك أن يحدث شجار، فقالت له امرأته: زعلان ليه .. صلّ على مذهب الشيخ يوسف. كنت آنئذ فى السنة الأولى ثانوية .. والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

الحياة ورد وشوك
حوار حول قضايا الزواج والأسرة

أجرته: ذكرى والى [1]

– عندما يريد الإنسان الزواج، عليه أن يفتح عينيه واسعتين قبله، وأن يغمضهما نصف إغماضة بعد الزواج، كما يقول أحد الحكماء».

هكذا أجاب فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى، الداعية الإسلامى المعروف على سؤال لـ (مَوَدَة) طرحته على فضيلته خلال لقاء خصّ به المجلة حول موضوع اختيار شريك الحياة.

ومن أجل أن يضئ لنا دروب المعرفة، وينصح طالبى الرشد مستشهداً بعصور الإسلام الزاهرة، وابتداءَ بعصر الرسول ﷺ، وصولاً إلى عصر خلفائه وتابعيه رضوان الله عليهم أجمعين، أجاب فضيلته على أسئلتنا الهادفة إلى معرفة سبل تحقيق الاستقرار فى بيت الزوجية العامر بالإيمان، والطهارة، والودَ، ليكون هذا الحوار..

● **مـــودة**

فى البدء، هل لنا أن نتساءل عمّا ورد فى مناهلنا الأولى، وتحديداً القرآن والسنَّة، عن اختيار شريك الحياة وسكن الروح؟

د. القرضاوى:

اهتم القرآن وهو المصدر الأول لشريعتنا، واهتمت السنّة وهى المصدر الثانى المُبيِّن لقضية حسن اختيار الزوج، بهذا الموضوع. وكلمة الزوج فى اللغة العربية. وفى لغة القرآن والسنّة تعنى: شريك الحياة سواء أكان رجلاً أو امرأة. قال تعالى:

---

(١) نشرته مجلة (مودة) التى تصدر من (أبو ظبى) فى دولة الإمارات العربية المتحدة.

﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال: ﴿ يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢] فحسن الاختيار أمر مطلوب إسلاميًّا أمَّا أساسه فهو الصلاح، إذ ينبغى أن تختار المرأة ويختار معها أهلها الرجل الصالح، كما على الرجل أن يختار شريكة صالحة وفي ذكر الله نجد: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢].

وهنا نرى أنه من الأجدر ألاّ يركز الناس على قضية المال والثروة. فالثروة تتنقل، والمال يتحوّل، والغنى قد يفتقر، والفقير قد يغتنى، والموسر قد يعسر، والمعسر قد يأتيه اليسر. إذ قال الله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧]. وقال: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ - ٦] لذلك نجد أن القرآن حينما أمرنا بتزويج الصالحين من عباد الله. قال: ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٢] وهذا يعبّر عنه المثل الشائع عند المسلمين: «خذوهم فقراء يغنهم الله».

وهكذا يتجلّى لنا تأثير الفكر والعلم الإسلامى على الجماهير المسلمة حيث أن العبرة بصلاح الشخص وليس بماله، إذ يقول النبى ﷺ فى ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» ويقول عليه الصلاة والسلام: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى الشطر الثانى». وعلى تركيزنا أن يكون موجَّهًا نحو المرأة الصالحة، ومعنى الصلاح فى المرأة هو الدين والخلق.

وفى الرجل جاء الحديث المعروف: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض». وفى المرأة يقول النبى ﷺ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرّته وإن أقسم عليها أبرّته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

﴿اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤] وهذا لا يعنى ألاّ يبالى الإنسان بالمقاييس الأخرى، وإنما المهم هو أن يجعل الدين أولاً.

فلا مانع أن يبحث عنها جميلة حتى تسرّه إذا نظر لكى لا ترنو عينه إلى غيرها. ولا بأس إن كانت على قدر من الذكاء لتجاريه، كما لا مانع أن يبحث عن أصلها وحسبها ونسبها، ولا مانع حتى أن يكون معها مال.

ويدعم الحديث الشريف هذا القول: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» أى اجعل الدين هو معيارك الأول واظفر به واشدد يديك عليه، فإنها إذا كانت ذات دين فإن كل شئ سيكون هيّنًا بعد ذلك.

وترى الناس يبحثون عن صاحب الدين فى المقام الأول ويقولون: إذا زوّجت ابنتك فزوّجها ذا دين، إذا أحبّها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها، ويقول عز من قائل: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩]، ويقول الرسول ﷺ: «من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»: فترى حرص الأوائل على ذى الدين يصل أن يرفض أحدهم أن يزوّج ابنته لولى عهد المسلمين، ابن الخليفة. كان هذا موقف سيد التابعين الفقيه الإمام سعيد ابن المسيب، إذ بعث إليه الخليفة يخطب إليه ابنته فاعتذر ورفض، ثم زوّجها لأحد تلاميذه ممن لا يملك شيئًا، لأنه أراد أن يزوجها إنسانًا يطمئن إلى دينه وخلقه.

● مـــودة

إذا كان الشرع قد حدد منذ البدء مقاييس الاختيار والتى على رأسها كان الدين، فهل تعتبرون أن هذه المقاييس قد تغيرت فى عصرنا هذا، أو فترت بقدر الفتور الذى طرأ على تمسكنا بعقيدتنا وتعاليم ديننا؟

د. القرضاوى:

إذا ما كان المجتمع الإسلامى، فى العهد الأول، يرفض الزواج الذى تصحبه

الشهرة، والجاه، والنفوذ، والخلافة، ويزوّج الأب ابنته من طالب علم فقير، فهل احتفظنا بهذه المقاييس إلى الآن؟!

قطعًا تغيرت النفوس، وتبدلت القيم بتأثيرات وافدة علينا ومنها رواسب عصور التراجع والهزيمة خلال العصور الإسلامية الأخيرة التى انحرف معها المسلمون عن الإسلام الصحيح، ودخلت عليهم مؤثرات شتّى، ولم يعد الدين حاكمهم، فتعسّر عليهم فهمه، وضعف تطبيقه.

ثم جاءت التأثيرات المادية الحديثة، بما تشمله من قيم مادية سرت بتأثير أقوى من قبل الحضارة الغربية. حتى أصبح همّ الناس المادة قبل كل شئ والمظاهر البرّاقة. فاختفت المعايير الدينية. والمقاييس الأخلاقية التى كان يقاس بها من يريد الإنسان الزواج به.

وفى المقابل علينا أن نعترف أن البلاد الإسلامية تشهد الآن صحوة شملت الكثيرين من الشباب. والكثيرات من الفتيات، فأصبح الإسلام – ولله الحمد – حيًّا فى كثير من الضمائر. والقلوب. والنفوس. بل أصبح هو المؤثر والموجّه الأول لحياة الكثيرين والكثيرات، وعادت هذه التعاليم الدينية لتحيا فى النفوس وفى المجتمع من جديد، وعلينا نحن أن نسقى هذا الزرع ونتعهده بالرعاية حتى يؤتى أكله ويثمر ثمرته إن شاء الله.

● **مـــودة**

الاختيار للزواج، باعتقاد فضيلتكم، هل هو اختيار فردى أم جماعى؟ وفى حال اشتراك المجموعة فى الاختيار من يتحمّل المسؤولية فى النهاية؟

د. القرضاوى:

يربّى الإسلام المسلم على الشورى فى كل شئ، وفى الحديث: «ما خاب من استخار». يعنى إذا أراد الإنسان أن يوفّق فى أمر ذى بال، يحسن به أن يستخير الله ويستشير الناس. واستخارة الله تكون بالصلاة ركعتين، والدعاء أن يهديه الله إلى أفضل الأمرين.

هذه سبيل، والسبيل الثانية أن يستشير من يرى فيه حسن الرأى والحكمة ومن يحب له الخير، فلا يستشير عدوًا، ولا حسوداً، ولا حقوداً، لذلك يحضّ الإسلام على أن يتم الزواج بتراضى كلّ من يهمّهم الأمر. ولا ينبغي على الرجل أن يزوّج ابنته رغمًا عنها ولا بد أن يكون ذلك برضاها. وقد رد النبى ﷺ بعض حالات الزواج التى لم تكن برضى الفتاة. بل قال: «آمروا النساء فى بناتهن» أى إذا أراد الأب أن يزوّج ابنته فلا بد أن يستشير أمّها، لأن الأم أخبر بابنتها من أبيها، وقد تتجرأ البنت على أن تصارح أمّها ولكنها لا يمكن أن تفعل ذلك مع أبيها، كما يمكن للأب أن يستشير إخوتها الذكور، لأن الزواج ليس علاقة بين فرد وفرد. ولكنه مصاهرة ويقول الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا** ﴾ [الفرقا: ٥٤].

فالنسب رابطة دم. ومصاهرة عن طريق الزواج، وعندما يتزوج الشخص امرأة فإنه لا يتزوجها فقط. لأن أمّها ستكون حماة له وجدّة لأولاده، وأباها سيكون حمًى له وجدًّا لهم أيضا وإخواتها سيكونون أخوالهم، وأخواتها خالاتهم، وهكذا تحولت العلاقة إلى لُحمة ورابطة وشيجة، ومن أجل هذا لا بدّ أن تتم المشاورة، حتى يكون الجميع مسروراً بهذه الزيجة، ومقبلاً عليها وفرحًا بها، وحينما تأتى العروس، تجد الترحيب من الجميع، وتجد أرضًا تحملها، وصدوراً مفتوحة لها، وقلوبًا تهفو لحبّها. وهذا هو المطلوب فى الزواج الإسلامى.

● **مـــودة**

إن دور الأم فى بناء أجيال صاعدة نافعة للوطن والأمة العربية الإسلامية أساسى، فكيف تتشكل الرؤية القائلة: إن مسؤولية تربية الأبناء تبدأ من ساعة اختيار أمهم؟

د. القرضاوى:

لا شك أنه من أولى أوجه المعروف التى يمكن أن يصنعها الأب تجاه أولاده.

أن يختار لهم الأم الصالحة وهذا ما جاء فى الحديث: «يتخيّر أمًّا لأولاده لأنهم يرثون منها كما يرثون منه، ويتأثرون بها كما يتأثرون به. وعنها قال شاعر النيل، حافظ إبراهيم:

الأم مـدرسة إذا أعـددتها أعـددت شعبًا طيّب الأعراق

وحينما امتنّ الشاعر العربى قديمًا على أولاده، قال لهم:

وأوّل إحسانى إليكم تخيّرى لما جدة الأعراق بادٍ عفافها

فالوعاء الصالح مطلوب ومهمة الأب أن يختار الأم الصالحة، ومهمة المرأة أن تختار لأولادها الأب الصالح، إذ هى مسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة، وعلى كل منهما أن يحسن اختيار الشريك الذى يكون نعم المحضن والمربى لأولاده.

● **مـــودة**

تعاليم الإسلام واضحة البيان فى أمور ديننا ودنيانا وبالخصوص فيما جاء منها مخصصا للنكاح، كالخِطبة، والصداق، والقران، ومن ثم آداب المعاملات الزوجية. ولكن ومع تيسير ديننا لكل هذه المعاملات إلا أن مسايرة العصر دفعتنا لتعسيرها فيصبح مشروع النكاح عبئا ماديًا ومعنويًا يفكر الشاب ألف مرة قبل الإقدام عليه، إذ ارتفعت المهمور، وبلغت تكاليف الزفاف حدًا لا يمكن أن يتوقعه خيال .. فما رأى فضيلتكم فى هذه المشاهدات؟

د. القرضاوى:

ييسّر الشرع أمورًا كثيرة بينما نعسّرها نحن، والتقاليد زادت فى تعقيدها، خصوصًا مع وجود نوعين من التقاليد: بالية موروثة وليست من الدين فى شئ، وتقاليد غازية وافدة، ولكن كلا النوعين قد أثّر فى حياتنا وعقّدها، والدين براءٌ، بل يوصى بأن يكون الزواج أمرًا سهلاً ميسورًا بأقلّ ما يمكن من المهر، وأيسر ما يكون من التكاليف، ولكن الناس عسّروا على أنفسهم فأغلوا فى المهور مع أن الحديث يقول: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة»، وزوّج النبى ﷺ نساءه

بأقل ما يمكن من المهور حتى أن مهر فاطمة الزهراء رضى الله عنها، كان درعًا من على واسمه الحُطميَّة. وكان فى ذلك أبلغ رمز للمقبلين على الزواج.

وفى هذه الأيام لم يقف الأمر عند المهر، ولكننا اخترعنا كذلك الولائم للخطبة أو «الشبكة» وللعقد أو «الملكة»، وللزفاف أى عند الدخول، وكل ذلك يتم بالفنادق الباهظة التى تكلّف عشرات الآلاف، كما ابتدع الناس شيئًا آخر يسمى شهر العسل، ممثلاً فى سفرة، وللسفر تكاليفه من تذاكر وفنادق ونزهات، وهذه كلها مصاريف أرهق الناس بها أنفسهم وكلّفوها شططًا ما أنزل الله به من سلطان، إضافة إلى هدايا الزواج التى يعطى بعضها للعروس ولا ينتفع الناس بها، وتكاليف تأثيث منزل الزوجية، والخير كله فى التبسيط والتيسير «بشروا ولا تنفّروا ويسروا ولا تعسروا»، هكذا علّمنا النبى ﷺ، الذى دخل على بعض نسائه ببعض الفريك والسَّويق.

ولهذا كله، تعد فكرة الزواج الجماعى جيّدة، حيث تيسّر على العديد من الشباب تكاليف هذه الولائم.

علينا أن نعود إلى ينابيعنا الصافية لنستقى منها ما يفيدنا فى حياة الفرد والأسرة والجماعة:

● مـــودة

الاختيار قرار، والقرار تفكير عميق نقصد به عاقدين العزم على مشاركة أحدهم، أو إحداهن، العمر والمسكن وحتى الاسم، فهل يمكن لهذا القرار القصدى الواعى القائم على إدراك وإيمان أن يكون مبنيًا على خدعة ملبس، أو مظهر، أو حسب، أو نسب؟ وماذا تتوقّعون أن يكون مستقبل مثل هذا الاختيار؟

د. القرضاوى:

الاختيار يدل على ثقافة الشخص ووعيه، أما إذا أردنا أن نغيّر هذه المقاييس المقلوبة والموازين السيّئة، علينا أن نغيّر من وعى الإنسان وثقافته. فإذا تغيّر وعيه

وأصبح يدرك الخير من الشر، والحسن من القبيح، وما ينبغى وما لا ينبغى، عندها يستطيع أن يدرك مَن يختار، سواء بالنسبة للفتى أو للفتاة، إذ يمكن أن يعجبها المظهر، فتنسى الجوهر، ويعجبها الشكل فتنسى المضمون.

والقرآن يقول واصفًا المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] والحديث يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، والعرب يقولون: «ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدّخل»، ونحن نستشهد بكل ذلك حتى نوعّى شبابنا وشاباتنا بهذه المعانى والقيم ليحسنوا الاختيار لأنفسهم ومستقبلهم.

● **مـــودة**

لفضيلتكم، جهودا إعلامية لافتة للنظر، وحضور بارز فى العديد من القنوات الفضائية العربية، الأمر الذى جعل منكم صديقا للأسرة المسلمة التى تتوجه إليه بمشكلاتها وهمومها وتساؤلاتها.

من خلال هذه العلاقة الحميمة مع وسائل الإعلام، ومع الجمهور على حد سواء، كيف تقيمون دور الأولى فى رفع درجة الوعى لدى الجمهور، وما تعليقكم على تجاوب جمهورنا مع مثل هذا الإعلام الملتزم؟

د. القرضاوى:

لا شك أن لوسائل الإعلام دورًا هامًا وخطيرًا. خصوصًا وأنها أصبحت الآن تدخل كل بيت، وتخاطب كل فرد وتؤثّر بالصوت والصورة. وتحسن الترغيب والترهيب، ومع عصر القنوات الفضائية غدت مسؤولياتها أكبر.

وفى الواقع على مثل هذه الأجهزة الإعلامية أن تتحمل هذا العبء: عبء التوجيه والترشيد، والمقصود: ترشيد المسيرة، والتنبيه إلى المخاطر، والتعريف بالأشياء قبل أن تقع، ويوجد دائمًا العلاج كما توجد الوقاية، ولكن علينا أن نهتم بالوقاية قبل العلاج حتى لا نقع فى أودية الهلاك، ثم نحاول الخروج منها.

وعلى وسائل الإعلام أيضًا أن تنبّه المجتمع، وخصوصًا الشباب منه، إلى المخاطر والمحاذير، وتضئ الإشارات الحمراء فى الطريق حتى لا يرتكبوا الأخطاء التى يندمون عليها لاحقًا.

وأعتقد أن كثيرًا من القنوات والمحطات تقوم بذلك على تفاوت فيما بينها، والواجب عليها أن تزداد إصرارًا على هذا التوجّه، بل تأتى مجددًا بالنصحاء والموجهين الأصلاء الذين يحسنون توجيه الجمهور إلى ما يتوجب عليهم فعله، وينبغى أن يكون الدين وخصوصًا ديننا الإسلامى وراء ذلك كله، فالناس لا زالوا أطوع لتوجيهات الدين، ومجتمعنا فى غالبيته متدين بفطرته، وصوت الدين مسموع ولواؤه مرفوع، وفى جانب الأسرة بالذات.

هكذا على الدين أن يكون: الموجّه والمحرّك الأول لجماهيرنا العريضة فى هذا الجانب الخطير من حياتنا الاجتماعية.

على الإنسان أن يقبل بالشريك بكل جوانبه فلا يأخذ العيوب وينسى المزايا، وعليه أن يضع كُلاّ فى كفة ويرجّح:

● **مـــودة:**

أوضح استطلاع للرأى قامت به مودة حول أسس الاختيار، أن الشاب يريد الملتزمة بأمور دينها، وفى المقابل تفضل الفتاة الزواج من المتدين والخلوق، غير أن المفاجأة هى ازدياد حالات الطلاق على مستوى الخليج بعامة، وانهيارات فاجعة لأسرنا التى ما أن تتشكل حتى تبدأ فى الإنهيار.

والسؤال هو: هل ثمّة فرق بين النظرية والتطبيق؟ أم أننا بحاجة إلى إعادة النظر فى مجمل خطابنا التربوى، والاجتماعى، والإعلامى؟

د. القرضاوى:

لا بد أن هناك أناسًا ليس الدين هو محرّكهم الأول، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلنتساءل للحظة: ما هو الدين؟!

هناك من يسئ فهمه. ويُذكر أن رجلاً جاء إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب منه أمراً. فقال له عمر: «ائتنى بمن يشهد لك، فقال أحدهم أنا أشهد أن هذا رجل صالح، قال: هل أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: هل عاشرته فى السفر الذى يُسفر عن أخلاق الرجال؟ قال: لا. قال: هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يُعرف به حرص الإنسان من ورعه؟ قال: لا. قال: لعلّك رأيته فى المسجد، يهمهم بالقرآن، فيرفع رأسه تارة، ويخفض رأسه أخرى؟ قال: نعم، قال: إذن لست تعرفه قال: اذهب وائتنى بمن يعرفه».

ومن هنا نستشفّ أن المهم هو الجوهر، إذ نعتبر أحيانًا الشخص ديّنًا لأنه ذو لحية طويلة أو ثوب قصير ولكننا نخطئ باعتقادنا هذا لأنه ليس هذا الدين ولا هذا هو المتدين والحديث يقول «خلقه ودينه» يعنى ليس أن يكون مصليًا فقط، وإنما أن يكون ذا خلق أو ذا طباع حميدة وخصال كريمة، إنسانا لا يكذب إذا حدّث ولا يخلف إذا وعد، ولا يفجر إذا خاصم، وهى مجموعة خصال المؤمنين.

وأنا أشك فى من يقولون: اخترنا ذا دين ثم يفشلون. فإمّا أنهم لم يفهموا الدين كما ينبغى، أو كان الشخص منافقًا. يظهر باسم الدين وهو بعيد عنه، أو أنهم لم يحسنوا المعايشة، والتى من أصولها أن يعرف الزوج مبادئ العشرة الزوجية، وحقوق الزوجة عليه، وهى أيضا لا بد أن تعرف ذلك والله تعالى يقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أو قد يكون الرجل ديّنًا لكن أهله يساعدونه على بغضه لها، أو بغضها له، وهنا يظهر تدخل الآخرين المدمّر. أو لعله يكون متأثرًا بما فى المجتمع، أو من خلال تقاليد مجتمعات أخرى، وينطبق القول على المرأة أيضًا. والمهم أن يعى الطرفان أن الحياة الزوجية مسؤولية . وعلى كل من الزوجين أن يصبر على صاحبه وأن يحتمله.

وعلى الإنسان أن يقبل بالشريك بكل جوانبه، فلا يأخذ العيوب وينسى المزايا، وعليه أن يضع كُلاً فى كفة ويرجّح.

والحياة ليست وردًا خالصًا ولكنها ورد مع شوك، وسرّاء مع ضراء، وسلبيات مع إيجابيات، بل هى خلاصة لكل ذلك، أما الانسان الذى يحلّق فى سماء المثاليات، وبحلم بأشياء وهمية فإنه لن يستطيع أن ينجح فى حياته الزوجية مهما حاول.

من محركنا وموجهنا غير الدين ؟!

● **مـــودة**

فى حلقة جريئة وغير مسبوقة من برنامج حوارى مباشر لكم مع إحدى القنوات الفضائية العربية، ثم تناوُل قضايا عميقة جداً وبالغة الخصوصية فى ما يتعلق بالحياة الزوجية وأسرارها، وفتح الباب للحديث عن الحدود التى رسمها الشرع للتعاطى مع هذه العلاقة.

والسؤال هو: ما دور مثل هذه الموضوعات فى إعداد المقبلين على الزواج، وكيف يمكن لنا التعامل معها بوعى وحكمة حرصًا على مستقبل العلاقات الزوجية؟

د. القرضاوى:

هذه أمور لا بد أن نلامسها بالحكمة والرفق، وعلى وفق توجيهات الشريعة الإسلامية: فالقرآن والسنة ذكرا هذه العلاقات الحسّية بين الزوجين، إذ يقول تعالى: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وقد ورد فى الحديث عن الصيام، وآدابه، وأشكال السموّ الروحى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾

[البقرة: ١٨٧]

إذن، هى أمور طبيعية ويجب أن تعطى حقها فى جوّ من الايجابية والجدية

بعيداً عن جوّ الاستهتار، وعلينا أن نوعّى الأزواج، ونربّى الأولاد على هذه الناحية تربية قائمة على العلم الصحيح والدين الحقّ. وقد تحدث المسلمون قديمًا عن كل هذه المواضع، وهم يتطرقون إلى فرائض الوضوء، وموجبات الغسل، وتفسير القرآن، وشرح الأحاديث، كما أذكر لكم أن لأخينا الأستاذ عبد الحليم أبو شوقة رحمه الله كتاب «تحرير المرأة فى عصر الرسالة» وهو مؤلف من ستة أجزاء، خصص الجزء السادس منه للثقافة والتربية الجنسية، ومن خلال رافدكم الإعلامى هذا، أنصح بقراءة هذا الكتاب كله، وخصوصًا الجزء السادس منه، فالكتاب فى مُجمله قائم على النصوص الإسلامية من كتاب الله، إلى سنّة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وكن يبدو أنه مرّت علينا حقبة من الزمن أوصدنا من خلالها الأبواب على مثل هذه المواضيع، ففسحنا، دون أن نقصد، المجال أمام أبنائنا وبناتنا ليستقوا ثقافتهم - وخصوصًا - عن هذه الناحية الخطيرة، من أصدقاء السوء ومصادر لا نعلم حقيقتها، فساءت النتائج والأولى بنا أن نعود إلى ينابيعنا الصافية لنستقى منها ما يفيدنا حول هذه النواحى المهمة فى حياة الفرد، والأسرة والجماعة.

* * *

د. يوسف القرضاوى
سأزوج ابنتى لمن تحب
أقرأ لإحسان عبد القدوس
ونزار قبانى وسعاد الصباح

تدب الحيوية وتمتلئ الحياة والأوساط الإسلامية فى مصر نشاطا حينما يعود المفكر الإسلامى د. يوسف القرضاوى إلى القاهرة فى إجازة أو زيارة عابرة لحضور مناسبة ما، فالشيخ القرضاوى بكتبه ودراساته وحضوره الفكرى - يمثل مرجعية لكل التيارات. الذين يتفقون معه والذين يختلفون ولذا فالحوار معه يعد دائما بمناقشات ساخنة ومحاوراة علمية خصبة. وقد جرت وقائع هذا الحوار المطول فى منزله بمدينة نصر. وتحدث فيه الدكتور يوسف القرضاوى عن بناته وأولاده وعن القرضاوى الشاعر والانسان والمفكر وفتح قلبه وعقله ليتكلم عن فقه القرضاوى كما يتصوره وقضايا أخرى كثيرة.

● قلت له مبتسما: أراك تتمسك بالعمامة والجبة مع أن معظم علماء الأزهر هجروها إلى البدلة. فلماذا؟

- يجيب د. يوسف القرضاوى: هذا الزى يعبر عن الشخصية الأزهرية وحتى عندما ذهبت إلى الخليج وقدمت برنامجين تليفزيونيين فى تليفزيون قطر وقناة الجزيرة الفضائية هما هدى الإسلام والشريعة والحياة. تمسكت بهذا الزى وأرى أن شيوخ الأزهر ينبغى أن يحتفظوا بهذا الزى مع اللحية والعمامة، إحياء لهذه السنة. وأذكر أن الإمام الندوى وهو عالم هندى عندما جاء إلى مصر سأله الشيخ حسن الشرباصى عن أعجب ما رآه فقال العالم الهندى: أكثر ما أدهشنى هو أن علماء الأزهر حلقوا اللحية.